الفصل الأول

مدخل إلى فلسفة لورين كود

لورين كود (1937 - ؟)

- تمهيد
- أولاً: سيرة فيلسوفة
- ثانيًا: إسهامات فلسفية
- ثالثًا: معالم فلسفة كود ومنهجها
- الخلاصة

الفصل الأول

مدخل إلى فلسفة لورين كود

تمهيد

إن تناول السيرة الذاتية لـ لورين كود من الأهمية أن يفرد له فصلا كاملا، لما لها من أهمية كبيرة في دراستنا هذه؛ لأن سيرتها الذاتية تعد جزءا لا ينفصل عن فلسفتها و إسهاماتها الإبستمولوجية، بل يمكن القول بأن هذه السيرة هي فلسفة في حد ذاتها، وليس من المستغرب أن تفرد لها مساحة كبيرة رغم ما تفرضه الكتابة الأكاديمية من قواعد ترفض هذا النهج وتراه خروجا عن المألوف. وهذا على خلاف الكتابة النسوية التي تدعم الخبرات والمواقف الخاصة بالذات العارفة بل وتؤكد على أهمية أن يعبر عنها الباحث كما يتطلب الأمر[1].

ولكن، كيف للباحثة هنا أن تعرف «لورين كود» كذات باحثة في هامش رسالة بحثية تقوم على الانتصار للذات العارفة، وتنتقد إعطاء الأهمية للموضوع على حساب

(1) وتتذكر الباحثة هنا كيف في إحدى المناقشات لرسالة أكاديمية وجه اللوم للباحثة - من أستاذ كبير - كونها خصصت فصلا كاملا تتناول فيه السيرة الذاتية للفيلسوف الذي تأخذه نموذجا للأفكار التي تتناولها، مثلما هي الرسالة هنا. كما تتذكر أيضا كيف جاء تعليقه على ذلك حادا ومنتقدا حين قال: لماذا تذكرين السيرة الذاتية وتتحدثين عن حياته في كل هذه السطور؟ ماذا يهم في سيرته؟ بماذا يفيدنا كونه ولد في كذا وتعلم وعاش في كذا وله مؤلفات كذا؟ ماذا أستفيد من حياته الشخصية والعناوين العامة لديه؟ من يريد أن يجمع معلومات عنه فسوف يجدها متوفرة في الكتب فليذهب ويقرأها، أما نحن فنريد فقط الأفكار المهمة التي تناولها. مما يعني أن المهم هو الموضوع وليس الذات العارفة.

الذات، وتدور فلسفتها إلى نقل الذات العارفة من الهامش إلى المركز! فكان من غير اللائق أبدًا أن تكتفي الباحثة بتعريف لها في هامش الفصل الأول كما هو معتاد، أو حتى تخصص لها عنصرا في البداية على أساس أنها جديدة على المكتبة العربية، فتقريبا لا يوجد عنها شيء إلا ترجمة لفكرة واحدة وهي عن التفكير المحلي والعالمي[1]، لذلك كان من المهم بمكان أن تعطى لها كذات مساحة كافية.

ونقطة أخرى بخصوص الاسم الذي من المفترض أن تتناوله الباحثة داخل الرسالة بـ «كود» اللقب وليس «لورين» الاسم، ألا تعني هذه القاعدة الأكاديمية إعطاء الأولوية للأب «الرجل»، وتهميش لشخصية الفيلسوفة «الأنثى»؟ أليس هذا مخالف للمبادئ النسوية؟! ما الضير في أن نقول لورين؟ ما المشكلة في استخدام اسم الفيلسوفة بدلا عن اللقب؟! أو بمعنى يتبع مبادئ كود الفلسفية وهو التعدد والتنوع حسب ما يقضيه الموقف، ربما هذا غير جدير أكاديميا، ولكن هذه الرسالة تتناول الذات الأنثوية وتعلي من شأنها؛ لذلك كان من الطبيعي أن تتخفف الباحثة شيئا من التقليد الأكاديمي المتبع بين الحين والآخر، وأن تستخدم الاسم بالكامل «لورين كود» واختصارا بـ «لورين» أو من باب التنوع فتصبح حسب السياق[2].

كذلك من الأهمية بمكان أن نحاول التعرف بذاتية الفيلسوفة التي تدور الأفكار في فلكها؛ لأن هذا سوف يوضح لنا أكبر قدر من الرؤية، وكذلك سوف يوضح لنا موقعها كذات عارفة، وهذا الموقع مهم من الناحية المعرفية لأنه ينعكس على أفكارها، كأن أقول مثلا: امرأة بيضاء إنجليزية متزوجة ستعطي نتائج مختلفة عن أن أقول: امرأة سمراء من الطبقة المتوسطة، غير متزوجة. فهذه الامتيازات لها تأثيرها المهم أيضا، وهذا التحليل في صميم فكر الفلسفة النسوية.

(1) يقع هذا الفصل بعنوان: «كيف نفكر تفكيرا عالميا: توسيع حدود الخيال» في كتاب لأوما ناريان وساندرا هاردنج بعنوان «نقض مركزية المركز: الفلسفة من أجل عالم متعدد الثقافات بعد - استعماري ونسوي»، ترجمة يمنى طريف الخولي، الجزء الأول.

(2) الفكرة ببساطة في عدم التمييز؛ إذ يعد استخدام اللقب دوما تمييزا واضحا على الرغم من الاعتياد عليه وكونه قاعدة معترف بها، ولكن في الوقت نفسه يتعارض مع الأفكار الواردة هنا.

ونقطة أخرى: حينما نقوم بدراسة أفكار خاصة بفيلسوف ما ربما نجد شيء من اللامنطق في بعض أفكاره، وربما نحكم بخطئه في هذه الجزئية أو تلك، وقد تعرضت الباحثة لذلك أكثر من مرة خلال البحث، فكانت تعود وتقرأ من جديد لتحاول الفهم من جديد، وخاصة مع كاتبة معقدة الأسلوب مثل لورين، لذلك حينما نعود إلى الإطار التي تمت فيه الأحداث، واللحظة التاريخية وتداعياتها، يتضح لنا أن السياق وقتها قد استلزم ذلك، وأن ما قيل مما يُظن أنه نقائض له ما يبرره في عصره وليس عصرنا، أو في سياقه وليس في سياقنا، فنكون بذلك قد وقعنا في خطأ كبير وغير مقصود مرده إلى عدم اكتمال الرؤية لدينا. لذلك سوف تعرض الباحثة للسيرة الذاتية للفيلسوفة ثم نبذة عن أعمالها وفلسفتها ومنهجها وأفكارها بشكل موجز، أما فيما يتعلق بموضوع الرسالة فسوف يتم تناوله تفصيليا في داخل الرسالة.

أولاً: سيرة فيلسوفة

لورين كود Lorraine Code (1937 -)، أستاذة متميزة بكلية الآداب بجامعة يورك، تورنتو، كندا، وحصلت على زمالة الجمعية الملكية لكندا عام 2005م. وتدور الاهتمامات البحثية لها في الفكر السياسي والاجتماعي وارتباط الإبستمولوجيا بهما، وكذلك المسؤولية الأخلاقية للمعرفة. قدمت لورين مساهمات تحولية في دراسات الجنوسة والإبستمولوجيا، ونظرا لإنتاجها المتميز والذي ساهم بشكل كبير في تطور الدراسات الجنوسية، تم منحها جائزة أرسولا فرانكلين المرموقة في الدراسات الجنوسة «Ursula Franklin Award in Gender Studies» وهي جائزة تمنحها الجمعية الملكية في كندا كل عامين إلى باحث/ة يقدم إضافات قيمة تساعد على الفهم والتعمق في مجال دراسات الجنوسة.[1]

ولنعد إلى البداية والنشأة، فقد تفتح وعي لورين في عصر مصطخب بالأحداث العالمية، فكما نرى فإنها من مواليد العام 1937م، وقد نشبت الحرب العالمية الثانية ما بين عامي

(1) Lorraine Code receives prestigious RSC award, Faculty of Liberal Arts & Professional Studies (LA&PS), York University.
https://goo.gl/Gtg1tZ.

1939 - 1945م. وتلا ذلك ألوان من التغيرات السياسية والانقلابات في موازين القوى العالمية وسباق محموم في التسلح وحروب باردة وتغيرات دراماتيكية في استراتيجيات الحروب وتكتيكاتها. أضف إلى ذلك كله الحرب الأمريكية على فيتنام وكم المآسي التي خلفتها تلك الحرب وانطباعات النفوس عن وحشية الاستعمار، وكذلك حركات التحرر القومي التي اندلعت ستينيات وسبعينيات القرن العشرين في بقاع العالم الثالث، والذي اكتوى بظلم الاستعمار، مما ولد وعيا متقدا لدى شباب العالم أجمع بهذا الظلم الواقع على دول العالم الثالث. بل أكثر من ذلك خرجت من قلب الجامعات الغربية المظاهرات الطلابية المطالبة بالثورة على المناهج التعليمية والنظريات الفلسفية العقيمة التي ترهبنت في صومعة التنظير المجرد تاركة الواقع ينفلت على غير هدى ومن دون محاولة منها للإمساك به.

تفتح إذن وعي لورين ورَبا في هذا العصر، كما ربا في واقع اجتماعي وفكري يتخذ من البراجماتية منهجا له في الحياة والتفكير، ونستطيع أن نلمس ذلك في كثير مما تنحوه لورين من نهج في تنظيراتها. فهي عندما تريد علاج مشكلة فلسفية، تراها لا تلجأ إلى تحليل المشكلة إلى عناصرها ومن ثم ردها إلى واقع الأمر (القبلي) بغية المطابقة، وإنما هي ترده إلى الواقع (البعدي) بغية رؤية آثاره عليه، وانطلاقا من الآثار والمترتبات الناتجة عن المفهوم، تراها تعالج المشكلات وتصيغ النظريات وتحشد لها ما يدعمها من آراء وتنظيرات ودراسات من مختلف الميادين المعرفية. وتنبذ في المقابل ما من شأنه الإتيان بنتائج غير مرضية من أفكار ورؤى، دونما تحليل لها إلا لردها أيضا للمترتبات والوقائع البعدية التي تكون هذه الرؤى لها بمثابة مضار وثمار فاسدة.

فمشكلة النسبوية، والتي هي محور بحثنا هنا، نجد آلية الحل لها عند لورين أنها تقبلتها أولا رغم كل الانتقادات والمآخذ التي وجهت لها، بل واعترفت هي نفسها بما تحتمله من مآخذ، ولكنها من ناحية أخرى تؤكد على أهميتها وتعتبرها أفضل الخيارات المتاحة بدلا عن الفكر الاستعماري. وعليه حللت الوضع وقدمت نتيجة مفادها أن لا غنى عن الجمع بين النسبوية المطلقة والموضوعية المطلقة ويكون الناتج هو النسبوية المقيدة (المقيدة بالواقع

وما يترتب عليه من نتائج على البشر) التي تجمع بين الفكر التحرري للنسوية وتتفادى الفكر الاستعماري الغربي وتضع الواقع في الحسبان في شكل يدعم ويقوى من النسبوية ويدحض آراء المتشككين حيالها ويرد النقد عنها.

قدمت لورين إذن فلسفة نسبوية في المعرفة تحمل الطابع النسوي التحرري وتحمل الطابع المعرفي الجاد والمتقن الذي يريده الموقف المعرفي الكلاسيكي، جمعت بينهما في مزيج غريب لتكون النتيجة مبهرة، فأغلب الانتقادات التي وجهت للإبستمولوجيا النسوية عالجتها بشكل فريد (أو قل براجماتي) ووضعت لها حلولا أكثر متانة، وعلى الرغم من انتقادها لها في البداية إلا أن هذا النقد اختلف عن النقد الكلاسيكي الذي يريد الهدم والدحض فقط من أجل بقاء منظومته، في حين جاء نقد لورين من أجل البناء الأكثر قوة.

وتدور أعمال لورين البحثية على الافتراضات المتعلقة بمجال الإبستمولوجيا النسوية، ومن خلال مقال لها عن الموضوع وضعت افتراض مهم حين تساءلت: ماذا لو أن جنس العارف يؤثر في عملية إنتاج المعرفة؟ وقد أثار هذا الافتراض العديد من المناقشات في الأوساط الأكاديمية والتي خلصت فيه إلى أن جنس العارف مهم من الناحية المعرفية والعارف مسؤول عما يعرفه، وهذه المسؤولية تقع على جانبين: الجانب المعرفي والجانب الأخلاقي، ومنذ ذلك الافتراض أصبحت لورين من الرائدات في مجال الإبستمولوجيا النسوية، وهو الحقل الذي يهتم ويدرس دور الذات العارفة في عملية إنتاج المعرفة بوجه عام، ومدى تأثير الجنوسة على عملية إنتاج المعرفة بشكل خاص.

ونظرا لجهودها في مجال الإبستمولوجيا النسوية، تعد لورين أول امرأة تحمل لقب أستاذة وباحثة متميزة بجامعة يورك Distinguished Research Professor at York University وهذا ما نوهت عنه الجامعة على موقعها الإلكتروني وكونها فخورة أن لورين كود من فريق العمل لديها.[1]

(1) Ibid.

ولقد أثّرت وأثْرت أبحاث لورين أبلغ التأثير والإثراء في العديد من التخصصات البحثية مثل: الفلسفة والنظرية السياسية والتعليم وعلم الاجتماع والموسيقى وغيرها، كما لها العديد من الكتب والمقالات التي تناولت العديد من الإشكاليات الخاصة بالجنوسة وإنتاج المعرفة والمعرفة والذاتية، وهو المجال الذي ركزت جهودها عليه وخاصة في الفترة الحالية.

وتعد لورين باحثة متميزة ونشطة وتشارك في العديد من الأحداث الأكاديمية، كما لاقت الكثير من الترحيب والحفاوة لمشاركتها في المحافل العلمية المختلفة، بما في ذلك حصولها على لقب «المرأة الفيلسوفة المتميزة لهذا العام 2009 من الجمعية الأمريكية للمرأة في الفلسفة» «Distinguished Woman Philosopher of the Year from the American Society for Women in Philosophy»، وكذلك حصولها على الدكتوراه الفخرية من جامعة جلف «University of Guelph» 2005، ووسام اليوبيل الماسي للملكة إليزابيث الثانية Queen Elizabeth II Diamond Jubilee Medal 2013.

تم مُنح بحث لورين منحة بحثية من مجلس أبحاث العلوم الاجتماعية والإنسانية للبحث في مشروع بخصوص أحدث أبحاثها عن «اللايقين المصطنع والمسؤولية المعرفية: آثارهما على التشكك في تغير المناخ» «'Manufactured Uncertainty' and Epistemic Responsibility: their Implications for Climate Change Skepticism» (2013 - 2016) وتعمل الآن على كتاب يتناول هذا المشروع، وهو المجال الخاص بفلسفة البيئة والتفكير البيئي وإنتاج فلسفة علم نسوية متوشجة بفلسفة البيئة.[1]

ثانيًا: إسهامات فلسفية

ولقد ساهمت لورين كود في ميدان الفلسفة النسوية إسهامات فكرية وإبداعية واسعة المجالات، بعيدة الآماد، عميقة الآثار. ولقد صاغت إسهاماتها وإبداعاتها هذه

(1) Encyclopedia.com, https://goo.gl/P8X9hy.

في قوالب شتى، منها ما هو على صورة كتاب ومنها ما على صورة مقال أو بحث أو دراسة، كما منها ما هو تأليف ومنها ما هو تحرير للكتب أو إشراف عليها أو مشاركة في مؤلف جماعي... إلخ.

الكتب:

1- التأليف:

ألفت لورين - فيما يخص الربط بين حقلي الإبستمولوجيا والإكسيولوجيا، أي المعرفي والقيمي أو الأخلاقي - ألفت كتاب: **المسؤولية المعرفية**، مطبعة جامعة أكسفورد، 1987. وكذلك كتبت في محاولات تطبيق هذا الربط بين المعرفي والقيمي في المجال البيئي: **التفكير البيئي: سياسات الموقع المعرفي**. نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد، 2006.

وفيما يتعلق بأهمية جنس العارف ونظرية المعرفة النسوية وامتياز هذه عن الإبستمولوجيا السائدة، كتبت لورين: **ماذا يمكنها أن تعرف؟ النظرية النسوية وبناء المعرفة**، مطبعة جامعة كورنيل، 1991.وتم طباعتها طبعة ثالثة عام 1993.

وفي فضح دعاوي ومزاعم النزاهة والحيادية والموضوعية التي ترفع ألويتها المؤسسات العلمية الرسمية، كتبت لورين: **الأماكن المخفية: مقالات في مواقع التمايز الجنسي/ المواقع الجنوسية**. نيويورك: روتليدج، 1995.

وقد شاركت كل من «مورين فورد» و«كاثلين مارتيندیل» و«سوزان شروين» و«ديبرا شوغان» في تأليف كتاب: **هل الأخلاقيات النسوية ممكنة؟** أوراق كرياو، العدد 27. 1991.

2- تحرير الكتب:

وقد شاركت لورين كود كلا من «ساندرا بيرت» و«ليند ساي دورني»، شاركتهما التحرير لمؤلف: **تغيير أنماط التفكير: المرأة في كندا**. تورنتو، ماكليلاند & ستيوارت، 1988 (طبعت عام 1990، 1991، 1992). كما تشارك ثلاثتهن في تحرير الطبعة الثانية من ذات

المؤلف، وهي طبعة منقحة ومزيدة، ومضاف لها ثلاثة فصول جديدة، وذلك في العام 1993 (وأعيد طبعها 1994).

كما شاركت كل من «شيلا موليت» و«كريستين أوفرول» التحرير لمؤلف: **وجهات نظر نسوية: مقالات فلسفية عن الضمائر والأخلاق**. تورونتو: مطبعة جامعة تورنتو، 1988.

وأما مؤلف: **تغيير الأساليب: ممارسة التحول النسوي**. فقد شاركت في تحريره كل من «ساندرا بيرت» 1995.

كذلك فقد شاركت في تحرير: **التأويلات النسوية لهانز - جورج غادامر. في إعادة قراءة الشريعة الكنسية**، المحرر العام، نانسي توانا. مطبعة جامعة بنسلفانيا، 2003.

وأخيرا وليس بآخر، **موسوعة النظريات النسوية** (محرر عام). لندن: روتليدج، 2000.

3- ترجمات:

قامت لورين كود بالمشاركة مع «كاثرين هامر» بترجمة المؤلَّف الفرنسي لـ«ميشيل لو دوف»: **جنوسة المعرفة** عن الفرنسية **Le Sexe du savoir** (باريس: أوبير، 1998)، نيويورك: روتليدج، 2003.

ومن أهم مقالاتها:

1. «نظرية المعرفة النسوية والأنطولوجيا». موسوعة الفلسفة، المجلد التكميلي. شركة ماكميلان للنشر، 1997.
2. «نظرية المعرفة النسوية». موسوعة روتليدج للفلسفة. لندن: روتلدج، 1998.
3. هل جنس العارف مهم من الناحية المعرفية؟ ما وراء الفلسفة، المجلد 12، العددان 3 و4، يوليو/أكتوبر، 1981. وتمت إعادة طباعته مع حاشية لكل من تيرينس بينوم وويليام فيتك (محرران). الفلسفة التطبيقية، نيويورك: مؤسسة ما وراء الفلسفة، 1988.

4. نحو مسؤولية معرفية «الفلسفة والبحوث الظاهراتية» المجلد. الخامس والأربعون، العدد 1، سبتمبر 1984.

5. «الأب والابن: دراسة حالة في المسؤولية المعرفية». The Monist، المجلد. 66، No.2، أبريل، 1983.

6. «ما هو الطبيعي عن نظرية المعرفة الطبيعانية»؟ «مجلة الفلسفية الأمريكية الفصلية، المجلد 33، رقم 1، يناير 1996(1 - 22). أعيد طباعته في لين هانكينسون نيلسون وجاك نيلسون (محررين) النسوية وغيرها من التفسيرات المعاصرة لكوين. جامعة بارك، PA: ولاية بنسلفانيا برس، 2003.

7. « كيف نفكر تفكيرًا عالميا؟: توسيع حدود الخيال». هيباتيا: مجلة الفلسفة النسوية. المجلد. 13 (2)، ربيع 1998(73 - 85). أعيد طباعتها في أوما نارايان وساندرا هاردينغ (محرران) نقد مركزية المركز: الفلسفة من أجل عالم متعدد الثقافات بعد - استعماري ونسوي. بلومينغتون: مطبعة جامعة إنديانا، 2000.

8. «الازدهار». الأخلاق والبيئة، 4 (1)، 1999(63 - 72).

9. «التفكير في التفكير البيئي». جزء من ندوة عن كتابها التفكير البيئي: سياسات الموقع المعرفي الذي عقد في اجتماعات الجمعية الفلسفية الكندية 2006. هيباتيا: مجلة الفلسفة النسوية، 23: 1، 2008(187 - 203)

10. اللايقين المصطنع: الإبستمولوجيات المسيطرة والخيال البيئي، Oñati Socio - Legal Series [online], 3 (5) , 838 - 853، P841.

مشاركة مع أخريات مثل:

1. نظرية المعرفة النسوية، في أليسون جاغار & أيرس يونغ (محررات) الدليل للفلسفة النسوية. أوكسفورد: باسل بلاكويل، 1998.

2. الإبستمولوجيات النسوية وحياة النساء، مع ليندا ألكوف و إيفا فيدير (محررات)، الدليل إلى الفلسفة النسوية، أوكسفورد: باسل بلاكويل، 2007.

3. «المصداقية: سياسة الكيل بمكيالين». مع شيلا موليت، & كريستين أوفرول (محررات) وجهات نظر نسوية: مقالات فلسفية عن المنهج والأخلاق. تورونتو: مطبعة جامعة تورونتو، 1988.

4. وضع الذاتية في الحسبان، مع ليند ألكوف و إليزابيث بوتر (محررات) الإبستمولوجيات النسوية. نيويورك، روتليدج، 1993.

5. يجب أن تكون النسوية نسبوية بعد كل شيء؟ في ضد التفكير البطريركي: مستقبل دون تمييز؟ وقائع الندوة السادسة للرابطة الدولية لفلاسفة المرأة (إإف). ماجا بيليكان - إنجل أوتريخت (محررات): جامعة VU، 1993.

6. «يجب أن تكون النسوية نسبوية بعد كل شيء»؟ في مايكل كراوس، النسبوية: خلاصة وافية. نيويورك: مطبعة جامعة كولومبيا، 2010.

ثالثًا: معالم فلسفة كود ومنهجها

تصف لورين عملها البحثي بكونه استجوابًا للسياسات المحلية والعالمية للمعرفة التي تؤدي إلى الإضرار بالبشر والطبيعة على حد سواء، وتضرب مثالا على ذلك بأن الإبستمولوجيات الفلسفية التقليدية تعزز وتساهم في استغلال كل من البشر والطبيعة من قبل العلوم والمؤسسات الغربية، لأنها تتضمن مبادئ تحجب دور العلاقات الاجتماعية والسياسية في عملية تكوين المعرفة.[1]

ومما سبق عرضه فهي تعمل الآن على مبادرة بناءة لتطوير نظرية في المعرفة بديلة تتلافى العيوب السابقة للإبستمولوجيا السائدة، وهي نظرية معرفة بيئية تتواشج فيها المعرفة والبيئة معا.

(1) See, Code. L. Epistemology, Feminist, In: Encyclopedia of feminist theories, Code.L (ed), Routledge, London, New York, 2000, (P170 - 173).

تركز لورين في نقدها لنظرية المعرفة السائدة على وضع الأبعاد الأخلاقية في صناعة المعرفة، وقد طرحت ذلك تفصيليا في كتابها المعنون ب «المسؤولية الأخلاقية» 1987، والذي تقول فيه: إن المسؤولية المعرفية لا تتحقق بمجرد الالتزام بمعايير «معرفية بحتة»، وتؤكد على أن التركيز في الإبستمولوجيا على القيم والمسؤولية الأخلاقية سوف يؤدي إلى لفت الانتباه لأهمية السياق الاجتماعي للمعرفة، ومن ثم تؤدي هذه التحليلات إلى مفاهيم أكثر قوة للمسؤولية المعرفية كما تؤكد على أهمية العلاقات الاجتماعية والأدوار الاجتماعية بما هو معترف به كمعرفة.

والملاحظ من فلسفة لورين بشكل عام اهتمامها البالغ بالجانب التطبيقي العملي، وكيف يمكن توظيف البحث النسوي لتغيير حيوات النساء ورفع القمع الذي تعاني منه النساء والمهمشين والبيئة. وتنطلق لورين كود من خلال بحث دعائم نظرية المعرفة وتحلل وتنتقد في أساسات النظرية وتبين ما فيها من تحيز ذكوري وقمع للآخر الضعيف سواء كان المرأة أو المهمشين أو الحيوانات في الطبيعة، وقد خصصت كتابها المهم «ماذا يمكنها أن تعرف؟» لفحص نظرية المعرفة السائدة وفحص وتحليل نظرية المعرفة النسوية، وقدمت العديد من الرؤى والاقتراحات التي تحسن وتدعم نظرية المعرفة النسوية إلى جانب العديد من الانتقادات للأجزاء الضعيفة فيها. وقد قدمت اقتراحين مبتكرين تماما، يتمثل أحدهما في افتراضها أن جنس العارف وكذلك الغرض من المعرفة المنتجة مهمان من الناحية المعرفية، بينما يتمثل الاقتراح الآخر في مصطلح النسبوية في الفلسفة النسوية. وتحلل لورين افتراضها الأول عن جنس العارف وما يستتبعه من ضرورة وضع السياق الاجتماعي والقيمي في الاعتبار ورؤية تأثيراتهم على المعرفة المنتجة، والواقع أن هذا الافتراض إنما هو مقدمة للوصول إلى افتراضها الثاني عن النسبوية المقيدة التي تضع كل ما سبق في الاعتبار، ولكنها ليست نسبوية مائعة وفضفاضة مثل النسبوية النسوية. فقد عملت على إصلاح ما به من نقائص فقدمت مفهوما جديدا يعمل على تحقيق المساعي النسوية في المعرفة ويدحض آراء منتقدي النسبوية وهو ما أطلقت عليه «النسبوية المقيدة» Mitigated Relativism.

وقد قدمت لورين كذلك العديد من الدراسات الخاصة بالمجال البيئي، فنجد مثلا كتاب التفكير البيئي، والذي تحاول فيه إنتاج نظرية للمعرفة متوشجة بالبيئة، معرفة تضع في اعتبارها مصلحة البيئة كما تضع في اعتبارها خبرة الأنثى ودور الذاتية.

ولكن لورين تنطلق دائما من منطلق إبستمولوجي، فمثلا في آخر دراسة لها بعنوان «شكوك ورفض: المسؤولية المعرفية في مواجهة منكري التغيرات المناخية» عملت فيه لورين على تفنيد الأساس المعرفي الذي ينطلق منه منكري التغيرات المناخية، ووضعت أيضا تفسيرات للخلاف السائد بين كل من علماء المناخ والمفكرين البيئيين ومنكري التغيرات المناخية، وتوصلت في النهاية إلى أن المشكلة تكمن في الأساس المعرفي لديهم وكيف أن موضوعات المناخ تمثل تساؤلات الإبستمولوجيا الرئيسة بخصوص المسؤولية المعرفية والموضوعية والنزاهة.

وبالإضافة إلى ذلك خصصت لورين أكثر من دراسة عن موقع العارف أو العارفة داخل العمليات المعرفية المختلفة، وكيف أن المؤسسات المعرفية التي يفترض فيها المصداقية هي نفسها قائمة على التحيز الجنسي. ويتضح ذلك جليا في كتابها عن «الأماكن المخفية، مقالات في المواقع الجنسانية»، تقدم لورين في هذا الكتاب مناطق مخفية وجنوسية لأصحاب مواقع معرفية لهم مصداقية وقبول مجتمعي، وتحاول البحث فيما يدور في الداخل لكشف التمايز الجنسي الذي يقع داخل المؤسسات المعرفية أو المعرفة المؤسساتية. وليس هذا فحسب بل أيضا نوهت لورين إلى نقطة مهمه للغاية وغير مفحوصة تماما، مثل معرفة الخبراء المليئة بالتحيز وكذلك الشخصيات الناجحة التي يشهد لها بالمصداقية والشفافية في الأوساط العلمية والأكاديمية فنجد مثلا الحائزين على جوائز نوبل حينما يصرحون بشيء ما يصبح قانونا مصدقا فور النطق به ويلاقي القبول والمصداقية في المجتمع بل وتصبح حجته الخاصة: «هذا الشخص حاصل على نوبل»، وهذه مشكلة معرفية كبيرة طرحت لها لورين وحاولت إظهار أبعادها الخفية.

والخلاصة أن لورين تعمل على الانطلاق من الأساس المعرفي والتأكد من نزاهته وتركز على المسؤولية الأخلاقية والمصداقية والنزاهة الحقيقيين.

ومن حيث المنهج تستخدم كود منهج التحليل والمقارنة كثيرًا جدًا إن لم يكن دائما، فهي دائما ما تضع الافتراض أو التساؤل ثم تغوص محللة إياه في الفلسفات والآراء السابقة من الجذور في الماضي وحتى الثمار والمآلات المعاصرة، وتجمع كل الآراء تقريبا التي تناولت نفس الافتراض بصورة أو بأخرى وتفصيليا وكأنها مرجع تاريخي. وكذلك المنهج النقدي، والذي يمثل الخطوة التالية بعد التحليل والعرض، حيث تنتقد كل الآراء تقريبا وتنحو منحى وسطا بين الأمور وتختار مفاهيم ومصطلحات محايدة.

ونقطة أخرى هنا، وهي أن كثيرًا من أفكار لورين ثابتة وبها شيء من تكرار ولكنها تتناولها بأكثر من طريقة، فنجدها تنشر أشكال مختلفة من ذات الموضوع في مقالات منفردة أو تشارك بها في كتاب ولكن لا تقدم جديدًا عن ذي قبل، فقط تنوع في العرض والتحليل، مما يعني مثلا أنها تحدثت عن موضوع الذاتية في فصل في كتاب «ماذا يمكنها أن تعرف؟» سوف نجد نفس الأفكار في مقالات عدة أخرى منشورة في أماكن مختلفة وبأشكال مختلفة، ولكن جوهر الفكرة هو ذاته الموجود في دراساتها الأسبق.

ونلاحظ أن أسلوب لورين معقد بعض الشيء ولغتها صعبة في معظم الأوقات لا تفهم مطلقا من قراءة أولى، وإنما تحتاج إلى قراءة ثانية وثالثة وربما رابعة. كما لا يمكن فهم لورين في جزئية معينة بعيدا عن الإطار العام لفلسفتها؛ وذلك لأنها دائما ما تعرض الأفكار وهي تستند إلى عرض سابق لها، وكأن على القارئ أن يفهم ما يدور بذهنها وليس ما يقرأه فقط، لذلك ينبغي فهم الإطار العام قبل محاولة فهم جزئية معينة. كما أن طريقة كتابتها معقدة بعض الشيء فهي وبحسب وصف واحدة من أعمدة التأليف والترجمة في الوطن العربي في فلسفة العلم عموما وفلسفة العلم النسوية خصوصا، وهي الدكتورة يمنى طريف الخولي، تقول: «تكتب (لورين كود) بأسلوب يتحرى شيئا من الإغراب والتعقيد، ويزيد هذا إكثارها من تقويس بعض الكلمات في السياق. كذلك تميل كثيرا إلى ضم كلمتين

بينهما شارطة ليصنعا كلمة واحدة أو معنى متميزا. ويضاعف من تعقيد أسلوبها وصعوبته ميلها إلى الجمل المطولة من ناحية، ومن الناحية الأخرى الحديث بالتشبيهات الاستقرابية أو المجازية كأنها الأمر الواقع.»[1] وبالطبع هذا يجعل أفكارها تحتاج إلى الكثير من التدقيق والعناية والعودة إلى سياق فلسفتها على العموم من أجل إيضاحها.

(1) لورين كود، كيف نفكر تفكيرًا عالميًا: توسيع حدود الخيال، في: أوما ناريان وساندرا هاردنغ، نقض مركزية المركز: الفلسفة من أجل عالم متعدد الثقافات بعد استعماري نسوي، ترجمة يمنى طريف الخولي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الجزء الأول، العدد 395، ديسمبر 2012، (ص123 - ص142)، صـ124.

الخلاصة

ومن الجدير بالذكر هنا أن الكتابات الحديثة للورين قد أصبحت تنحو صوب البساطة مثل الكتابات العادية، وأذكر منها على سبيل المثال العمل الأخير لها عن التغيرات المناخية والذي سبق ذكره.

ولكن يبقى تفرد لورين كود بالتعامل مع القضايا الفكرية بمنطق الحكماء، فهي لا تصدر أحكاما ولا تستنبط قضايا بدون فحص الأساس المعرفي المكون لها وتبيان الخطأ النابع بداخله ومن ثم يصبح بداهة تغييرها من قبل واضعيها.